

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2019/09/28

دور مدينة مليانة في انتصارات الدولة الصنهاجية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 4-5هـ / 10-11م.

The role of Meliana city in the victories of the Senhaji state in the Middle Maghreb during the centuries 4-5 AH / 10-11 AD.

د. البشير بوقاعدة

أستاذ محاضر قسم أ

جامعة محمد لمين دباغين. سطيف 2

الملخص:

تتصدى هذه الورقة العلمية بالبحث لمعالجة إشكالية طبيعة الأدوار العسكرية التي اضطلعت بها مدينة مليانة ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 4-5هـ / 10-11م، وبشكل مركّز خلال فترة الحكم الصنهاجي الزيري-الحمادي. وذلك بناءً على ما يحوزه المجال الملياني من مقومات طبيعية دفاعية-وقائية، ومؤهلات صناعية ثابتة ومتنقلة، وأسلحة مادية وبشرية. كما تعرّج بالدراسة على جانب من إسهاماتها الاقتصادية نظير ما تمتلكه من قواعد تجارية بمكوناتها الفاعلة من أسواق ومسالك وجيوب تجارية؛ التي تُشكّل قواماً هاماً في مسيرة الدعم العسكري ومعولاً رئيساً في بناء ترسانته. وهذا على اعتبار أنّ مدينة مليانة تمثل أحد الموارد الغزيرة التي ما فتئت تلجأ إليها القيادة الصنهاجية (الزيرية-الحمادية) لدعم المنظومة الاقتصادية، وتشديد الحصانة الدفاعية والأسلحة الهجومية، وتلبية حاجات الاقتصاد الحربي ومتطلباته المالية، في مساعيها الحربية الدفاعية والهجومية.

Summary:

This research paper aims at studying and analyzing the issue of the nature of military roles played by Miliana city in the Middle Maghreb during the centuries 4-5 AH / 10-11 AD, more particularly during the period of the Sanhaji Zirid-Hammadi rule. And that is Based on the natural defensive-protective elements, the fixed and mobile industrial qualifications, the physical and human weapons that the field of Miliana possesses. It also studies a part of its economic contributions, considering its trade bases and its active elements such as markets and trade routes, which make the basis for military support. This is in mind that Miliana city form one of the copious recourses to which the Sanhaji (Zirid-Hammadi) state often recourses in order to support the economic system, and the construction of defensive immunity and offensive weapons, and to meet the needs of the war economy and financial requirements, in its defense and offensive war efforts.

الكلمات المفتاحية: صنهاجة، مليانة، أشير، قلعة بني حماد، الونشريس، تنس.

Keywords: Sanhaja, Miliana, Ashir, Beni-Hammad fort, the Ouarsenis (El-Wanshariss), Tenes.

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

مقدمة:

مع أنّ الدراسات ذات الصلة بالتاريخ العسكري للبلاد المغرب أوسطية غزيرة ومتلونة، إلا أنّ ذلك لا يعني أنّ شمس تلك الدراسات قد سطعت فوق كافة جوانب الحياة العسكرية وتسَلَّلت إلى شتى خفاياها، وشملت كل مناحيها، وإنّما لا تزال مساحات شاسعة من حقول الدراسة في حاجة إلى من يروي ظمأها بأبحاث تكشف الحجب عن حقائقها وتميط اللثام عن خباياها. وبين نحن نطالع النص المصدري ضمن مسار اهتماماتنا البحثية، كان ممّا شدّ انتباهنا ووجّه أنظار قلمنا نحوه، ما تعلّق بدراسة الأدوار العسكرية التي اضطلعت بها المدينة المليانية لصالح السلطة الصنهاجية التي خضع المجال الملياني لحكمها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (10 و 11م)، لنضع أصبع قلمنا على طبيعة ذلك الدور العسكري، وتمظهراته، وطبيعة المقومات التي أهّلت المجال الملياني للاضطلاع بذلك، سواء الطبيعية والمادية أو البشرية.

دعنا نشير في مستهل هذه الورقة البحثية إلى أنّ الاقتصاد الملياني خلال فترة الحكم الصنهاجي قد عرف سيورة نمو ملحوظة، نظير المقومات الاقتصادية المتنوعة التي يزخر بها المجال الملياني، والحركة التجارية الحيوية التي تشهدها أسواقه ومسالكه. وأنّ المدينة لعبت دورا محوريا في الحياة الاقتصادية تحت جناح السلطة الصنهاجية زيرية كانت أو حمادية، إلى صفّ نظيراتها من المدن على غرار: أشير، جزائر بني مزغنة، المدية، القلعة، وبجاية. ومن ثمّ كان دورها العسكري لامعا؛ من حيث كونها

شكّلت إلى -حدّ ما- خزان لا ينضب يمدّ القيادة الصنهاجية بالسيولة المالية الكفيلة بسدّ متطلبات السياسة العسكرية سواء تعلّق الأمر بتغذية حاجات التسليح المالية، أو تلبية متطلبات النفقات العسكرية على الجيوش النظامية والعناصر المتطوعة، ونحوها من عمليات الإمداد والتموين في معارك الحرب وفصولها لا سيّما إذا تنامت وفصولها واستفحلت معاركها التي تتطلب ضخّا كبيرا للأموال، وبالعناصر البشرية الداعمة للقاعدة الجندية المعتمدة.

وحتى نبني عرش هذه الدراسة على نسق هيكلي متوازن ومنسجم وطبيعة الأركان البحثية التي يقوم عليها، يحسن بنا الإشارة إلى جوهر الإشكالية التي يتغيّأ الباحث سبر غورها، فما طبيعة الدور العسكري الذي اضطلعت به هذه المدينة لصالح السلطة الصنهاجية بوجهيها الزيري والحمادي؟ وفيما تتجلى مجموعة المقومات التي أهّلتها للاضطلاع بذلك الدور الحوري؟ وما طبيعة الاسهامات المادية والبشرية المليانية الصنهاجية إلى جانب القبيلة الأمّ في مسيرة الصراع والحروب المتعددة الأوجه والغايات والأصعدة والجبهات التي خاضتها صنهاجة قبيل مرحلة اعتلاء عرش بلاد المغرب وبعده؟.

1. صنهاجة وتأسيس مدينة مليانة:

تتفق المادة المصدريّة بشأن تأسيس مدينة مليانة، على أنّ الخليفة الفاطمي المنصور هو من إذن لزييري بن مناد الصنهاجي بتأسيس ثلاث مدن جديدة بعد مدة محدودة من تعيينه على أشير وأعمالها سنة

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

335هـ / 946م⁽¹⁾، حيث أُوكل هذا الأخير مهمة البناء لابنه بلكين، وكانت مليانة ضمن هذه المدن المشيَّدة في بحر سنة 360هـ / 971م⁽²⁾.

وعلى اعتبار أنّ تحقيق الأمن الاجتماعي والمنعة من الخصوم والأعداء ضمن أي مجال عمراني أو مدينة رهين إلى حدّ كبير بملامسة حسن اختيار موضع البناء، وقدرة المنظومة التحصينية الطبيعية والاصطناعية ومستويات فعاليتها، فإنّ ممّا يُشار إليه بشأن موضع بناء مليانة: أنّ بلكين بن زيري قد أحسن الاختيار، وراعى طبيعة الموضع المناسب لتشييد مدينته، حيث رأى أن يُسندها إلى سفح جبل زكار حتى يكون الأخير عضدا لمنظومة التحصين التي أحققها بالمدينة⁽³⁾. ولا بأس أن نستأنس بالرواية التي احتفظ لنا بها ابن خلدون إذ يُطلعنا بأنّه بعدما أذن الخليفة المنصور الفاطمي لزيري بن مناد باتخاذ القصور والمنازل والحمامات بأشير، وعقد له على تيهرت وأعمالها، "اختطّ ابنه بلكين وبأمره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر، ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من الشلف ومدينة المدية. وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن لهذا العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط"⁽⁴⁾.

كما لا تفوتنا الإشارة إلى أنّ بلكين بن زيري لم ينطلق من فراغ في اختيار موضع بناء مليانة، وإنّما شدّه ما وقف عليه من آثار الأول؛ فالمدينة - كما أشارت إليه المصنفات الجغرافية - من بناء الرومان، وبلكين بن زيري أعاد بناءها وتشبيدها، ودعّم مقوماتها التحصينية. هذا، ويلفت انتباهنا أنّ بلكين بن زيري قد آثر الاستقرار بمدينة مليانة على مدينتي الجزائر (362هـ

972م) والمدية (355هـ / 966م)، اللتين أسسهما إلى جانبها⁽⁵⁾. ولا نحسبه أمرا عبثا، بقدر ما هو موقف يبنّي على رؤية استشرافية من لدنه تقوم على مسوغات لعلّ أبرزها: أنّ المجال الملياني يعدّ من بين أكبر مراكز التواجد الصنهاجي بالمغرب الأوسط؛ حيث تسكنه أبرز بطون القبيلة الصنهاجية الصاربة بجلال الونشريس مع بني واريفن⁽⁶⁾. بالإضافة إلى الموقع الطبيعي الاستراتيجي الهام الذي تتكأ عليه مدينة مليانة، ولا يمكن أن تحفى علينا حجم الفائدة التي تنعكس على الحياة الاجتماعية والعسكرية بالمدينة في ظل تلك الحصانة الطبيعية والقوة البشرية-الصنهاجية المربطة بذلك المجال⁽⁷⁾. وكذا صدق تلك القوة العسكرية على مجال المغرب الأدنى زمنئذ، وعلى المجالين الأدنى والأوسط في فترة الحكم الصنهاجي الموحد، وعلى الفضاء المغرب أوسطي بعد انفصال الجسم الصنهاجي إلى كيانين سياسيين مستقلين عن بعضهما البعض وانضواء الفضاء الملياني تحت جناح الحكم الحمادي دون غيره. ومن ثمّ، نحسب أنّ المجال الملياني لم يتخلّف كغيره سواء بحصانته الطبيعية أو بمنظومته البشرية العسكرية عن لعب الدور البارز في خدمة الحركة العسكرية الفاعلة التي تقودها صنهاجة في إقليم المغرب طيلة عمر الحكم الصنهاجي لذلك المجال وسلطته على الإقليم الملياني، في مساعي القائمين عليها لتقوية دعائم الحكم، ودفاعا عن المجال ضدّ الخصوم والمناوئين.

في هذا الصدد، تُحيلنا المادة المصدرية التي وقفنا عليها إلى أبرز المسالك النازمة للشبكة المواصلاتية التي تسلكها القوات العسكرية النظامية والمتطوعة تلبية لنداء

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

الحرب الذي تطلقه أبواق السلطة الصنهاجية؛ وذلك أنه تخرج من أشير نحو الشمال ثلاث طرق رئيسة، أحدها يفضي إلى مرسى الدجاج، والثانية إلى الجزائر، أما الثالثة فإلى مليانة ثم منها إلى تنس⁽⁸⁾. بالإضافة إلى الطريق الرابطة بين الجزائر ومليانة، والتي تتخللها المراكز التالية: رطل مازوغة، وهي قرية جميلة بها مزارع ومياه غزيرة، وريغة، التي كانت لها أرض متسعة وفواكه كثيرة وبساتين وأسواق حسنة، وأخيرا سوق كران⁽⁹⁾ التي تبعد على مرحلة من مليانة⁽¹⁰⁾. وهناك طريق أخرى تربط بين أشير وتنس مروراً بمدينة بني وريفن (أو ورسيفن)، التابعة لبني مطغرة، والواقعة غربي مليانة بينها وبين تنس⁽¹¹⁾.

وإذا كانت الاستراتيجية الصنهاجية القاضية بمدّ العاصمة أشير بهذه الشبكة من الطرق بالمناطق التي تحت نفوذها تندرج ضمن منظومة الوقاية التي تسهر عليها الدولة تأمينا للمجال الصنهاجي، وتكشف عن مستويات حرص السلطة على ملامسة الأمن الاجتماعي والمناعة العسكرية، فضلا عن كونها تفصح عن طبيعة السياسة الاقتصادية المنتهجة من لدن القائمين على السلطة الصنهاجية لإنعاش الأنشطة التجارية وبعث الحيوية في أجهزتها؛ على اعتبار بشكل أخصّ مدى حاجة المدينة العاصمة إلى شبكة مواصلاتية ومنظومة مسلّكية منسجمة تُتيح للمدينة التنفّس بشكل طبيعي وتعمل على بعث الحركة في رتبتها التجارية، فقد كانت مليانة بشبكة مواصلاتها وأهمية موقعها الجغرافي وإستراتيجيته ممّا تجاريا فاعلا ومحطة عسكرية قوية، ظلّت تعرف نشاطا دؤوبا وحركة تجارية مستمرة، وتعدّ طريقا رئيسا تسلكه القوافل التجارية

القادمة من المشرق والمغرب الأدنى كالقيروان ومن أشير إلى مليانة وما يليها من مدن المغرب الأوسط وإلى المغرب الأقصى وبلاد السودان وذلك ذهابا وأيابا. وفي ذات الوقت شكّلت تلك الطرق والمسالك معبرا رئيسا تسلكه الجيوش الصنهاجية في شتى مهامها الحربية سيّما بالجهة الغربية من مجال حكمها.

2. صدى الحصانة الطبيعية المليانية في الحياة العسكرية الصنهاجية:

يذهب أصحاب العديد من الدراسات المتخصصة في تاريخ صنهاجة وصنهاجة المغرب الأوسط بشكل أخصّ إلى أنّ ضواحي مليانة تعدّ تقريبا هي حدود صنهاجة من الجهة الغربية، ومنها تبدأ بلاد زناتة⁽¹²⁾. فعند الباحث "الطمار" أنّه إلى الشرق من مليانة تقع المدينة الخضراء⁽¹³⁾ ومدينة وزيفان وتنس، وإلى هناك تنتهي بلاد صنهاجة وتبدأ منطقة زناتة التي ينتمي إليها بنو ورسفان القاطنون بنواحي الخضراء⁽¹⁴⁾. لذلك اعتبر الصنهاجيون المدينة في ظل حصانتها الطبيعية بموقعها على سفح جبل زكار على ارتفاع 720م على مستوى سطح البحر⁽¹⁵⁾ الجدار الفاصل والحصن المنيع بينهم وبين عدوهم التقليدي زناتة. كما اتخذوها نقطة مراقبة، يرصدون من خلالها مختلف تحركات العناصر الزناتية في الجهة الغربية من المغرب الأوسط أفقيا أو عموديا؛ يعني تحركاتها في المنطقة الشمالية أو الجنوبية، لكون المدينة تعدّ ملتقى الطرق القادمة من الشمال والجنوب أو الشرق والغرب.

ولعلّ النصّ الذي أمدّنا به الرحالة والجغرافي "العبدري" يضع بين أيدينا صورة واضحة عن تلك

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

الحصانة الطبيعية التي باتت عليها المدينة كما يبدو من خلال وصفه لها، حين زارها قائلاً: "ثم وصلنا مليانة وقد ألقى جمل الأعياء جرائه وغنى بلبل الغناء ألوانه إلى البلدة الخصيبة مليانة وهي مدينة مجموعة مختصرة. وليست مع ذلك من أمهات المدن مقصورة، أشرفت من كذب على واد شلف، واستشرفت نسيم طرفها من شرق في روضة جمة الأزهار والطرف. برعت في سفح جبل حمى حماها أن يرام"⁽¹⁶⁾. كما جاء في كتاب الاستبصار أن المدينة "حصينة في سفح جبل يسمى نكار"⁽¹⁷⁾.

فعلى ضوء هذه النصوص الجغرافية التي تنطلق من مشاهد عيانية وزيارات ميدانية، يتبدى لنا بشكل أكثر جلاء أن المجال الملياني يُشكّل قلعة ترابط فيها العناصر الصنهاجية، تُمكن القيادة العسكرية الصنهاجية القائمة على الإقليم من استطلاع أخبار الأعداء والخصوم وكشف مخططاتهم العسكرية العدائية، وضحد مختلف مظاهر التحالف والمؤامرة ضدّ كيائها ومجالها سواء مع رجال بني أمية بالأندلس الذين كانوا يسعون للتدخل في شؤون المنطقة عن طريق المواليين لهم بمنطقة المغرب الأقصى أو نحوهم من الطامعين في التوسّع على حساب المجال الصنهاجي والطامحين للاستئثار بحكمه. وفي المقابل، تُشكّل مليانة محطة عسكرية حصينة تنطلق منها الجيوش في حروبها الهجومية وحملاتها وغاراتها العسكرية على خصومها.

وعلى هذا الأساس، لا نجد بأساً في الإشارة إلى أن السبب التأميني والغاية الوقائية والوظيفة العسكرية الدفاعية-الهجومية لا ينفصل عن منظومة الأسباب التي

دفعت بالسلطة الفاطمية للسماح لبني زيري بتشديد تلك المدن بالجهة الغربية. هذه الجهة التي شكّلت بالنسبة للفواطم مصدر قلق، وبؤرة توتر تحدّد مستقبلهم بالمنطقة وتعكّر صفو الحياة السياسية بها. حيث رأوا أن تشييد تلك المدن ومنها مدينة مليانة، يشكّل إضافة عسكرية لمنظومة التحصين التي تؤمّن المجال الفاطمي، وتتنغم وحاجاتها لبناء قواعد حصينة لدفع الخطر الخارجي المتزايد والذود عن حياض الدولة المترامية الأطراف غرباً، ولإحكام سلطاتها على المناطق التي تليها ويسط نفوذها التام عليها وتعزيز مكانتها هناك.

في ذات السياق، يجدر بنا التوقف عند ما ساقه الباحث المستشرق "روحي ادريس" بشأن الأسباب التي دعت بلكين بن زيري لإحياء المدينة وبعث الحياة العمرانية فيها من جديد، حيث يقول: "ولعل الأمر يتعلق بتوسيع وتهيئة بعض التجمعات السكانية التي لم تبلغ بعد درجة المدن الكبرى، أكثر مما يتعلق ببناء مدن جديدة من الأساس"⁽¹⁸⁾. وإذا كان هذا الطرح يُغفل السبب العسكري ويتجاهل الإشارة إليه، فإنّ الطرح الذي يتبنّاه الباحث "الثمار" يُفصح عن حضور السبب العسكري ضمن حقل الأسباب التي شجّعت القيادة الفاطمية بشكل عام والرؤية الزيرية الصنهاجية بشكل خاص للإقدام على بناء مدينة مليانة ونظيراتها من المدن في المجال الغربي من الدولة الفاطمية. فيعتبر "الثمار": أنّ بناء المدينة مليانة يدخل ضمن استراتيجية توسيع الرقعة الجغرافية المنضوية تحت نفوذه بشكل أكبر وتعزيزها⁽¹⁹⁾.

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

ومع اهتمام القائمين على المدينة المليانية بإقامة المرافق الضرورية بالمدينة وتفعيل وظيفتها الاقتصادية والعسكرية وتوسيع عمرائها، انتعشت الحياة الاجتماعية بالمدينة، وتنامت حركية أنشطتها التجارية، كما ازدهرت الحياة الثقافية بها واستقطبت النخب العلمية وأرباب العمل والتجارة، فتبوأّت بذلك مليانة مكانة مرموقة في شتى مناحي الحياة ضمن المجال المغرب أوسطي لاسيما في العهدين الزيري والحمادي⁽²⁰⁾. ففي مجال الجهود التحصينية التي عنيت بها مدينة مليانة باعتبارها خطّ الدفاع الأول الذي يحمي الدولة ويُخَفِّف من وقع الصدمات القادمة من الغرب، يتجلى بأنّ حصانيتها الطبيعية دُعِمت منذ السنوات الأولى من إحيائها وتجديد بنائها بإحاطتها بالأسوار المنيعة زيادةً في التحصين والمناعة. ومن المعلوم الأهمية الكبيرة التي تنطوي عليها إحاطة المدينة بالأسوار في مجال الوقاية العسكرية وجهود الدفاع، وحتى ضمن الأداء الوظيفي المتمثل في التحكم في عملية الدخول إلى المدينة والخروج منها⁽²¹⁾، والإشراف على المجال الداخلي للمدينة والفضاءات الخارجة عن السور⁽²²⁾. ويعضد "الوزان الفاسي" الرؤية التي تبينها بقوله: أنّ "المدينة محاطة بأسوار عالية عتيقة، والسخرة تشرف من جهة على شعب سحيق ومن جهة أخرى على منحدر يبدأ من أعلى الجبل"⁽²³⁾.

ولعلنا من نأت بإضافة، إذا قلنا بأنّ موقع مليانة الحصين والاستراتيجي جعل منها سدّا منيعا وخطا دفاعيا أوّلا صعب في الكثير من الأحيان على خصوم صنهاجة اختراقه للوصول إلى عواصمها، سواء

يوم كانت أشير قاعدة الفواطم الرئيسة بالمجال المغرب أوسطي قبل أن تتقلّد صنهاجة مقاليد الأمور السياسية بالمغرب وتُدير شؤونها خلفا للفاطميين، أو حتى بعد اضطلعت القلعة القلعة التي بُنيت من طرف حماد بن بلكين سنة 398هـ/ 1007-1008م بذلك الدور على حساب الأولى، سواء تحت سقف الحكم الزيري للمغربين الأدنى والأوسط أو بعد انقسام بيت الزيريين على نفسه واستئثار بني حماد من صنهاجة بحكم بلاد المغرب الأوسط⁽²⁴⁾. كما عرقل مجالها إلى حدّ كبير من تحركات الخصوم والمناوئين والمنترزين وحدّ من بلوغهم طموحاتهم في الكثير من الأحيان، ومن ذلك الدور الذي لعبته المدينة في عرقلة النزوح المرابطي نحو الشرق على حساب ممتلكات الدولة الحمادية⁽²⁵⁾.

3. دور الاقتصاد الملياني في دعم القوة العسكرية:

في ظل إشراف مدينة مليانة على سهول فسيحة ذات تربة خصبة صالحة لممارسة مختلف لأنشطة الفلاحية كزراعة الحبوب من حنطة وشعير ونحوها من المنتجات الزراعية⁽²⁶⁾، ووفرة مجالها على مجموعة من الأنهار تسقي زروعها وجناحتها وبساتينها⁽²⁷⁾، وحياسة فلاحيتها على ثروة حيوانية هائلة متلونة، استفاد المجال الملياني من هذه المقومات الطبيعية والحيوانية بشكل ملحوظ في انعاش الحياة الاقتصادية بالمنطقة وتفعيل حركية أنشطتها المتنوعة. وهو ما نجد صدها في قول الحميري: "وهي ذات أشجار وأثمار تطحن عليها الارحاء... وهي عامرة ومشرفة على جميع ذلك الفحص ولها آبار عذبة. وبقعتها كريمة ومزارعها خصبة، وهرها يسقي أكثر مزارعها وجناحتها، ولأقاليمها حظ من سقي

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

شلف" (28). أو ما أورده صاحب الاستبصار: بأن للمدينة "مياه سائحة وأنهار وبساتين فيها جميع الفواكه، وهي من أخصب بلاد افريقية وأرخصها أسعارا. ومدينة مليانة مشرفة على فحوص واسعة وقرى كثيرة عامرة ومزارع واسعة، وحوها قبائل كثيرة من البربر، ويشق تلك الفحوص نهر شلف" (29).

ومن الطبيعي أن هذا الانتعاش الفلاحي والحركية التجارية الفاعلة والرخاء الاقتصادي المعتبر للمدينة المليانية (30) سينعكس بدوره إيجابا على الحياة الاقتصادية للدولة الصنهاجية بشكل عام، حيث يشكّل أحد أبرز الروافد الهامة لضخ الخزينة الصنهاجية لاسيما في العهد الحمادي بالأموال (31)، وأحد مصادر الدخل الهامة في انعاشها (32). فهذه العائدات الاقتصادية المعتبرة يمكن استثمار قسط منها في تنمية القوة العسكرية للدولة، من حيث قدرتها على تلبية حاجات الصناعة الحربية من تلك العائدات دون عناء أو دون اللجوء إلى سياسة جبائية لتحقيق ذلك في حال العجز، أو دفع المرتبات وتوفير المؤن أو للتسليح والزيادة في التحصين، وكذا لسدّ نفقاتها المالية على حروبها المفتوحة في ظل تشعب مشاريعها العسكرية وانفتاحها على جبهات متعددة سواء ضدّ أبناء عموماتهم من بني زيري أو ضدّ زناتة أو ضد دولة المرابطين، أو في مرحلة موالية ضد النصارى النورمان الذين اشتدّ أذاهم بالجهة الشمالية البحرية (33).

كما لعب الموقع الاستراتيجي لمدينة مليانة دوره هو الآخر في انعاش الحياة الاقتصادية لكونه أحد محطات عبور القوافل التجارية الحملة بالبضائع والسلع

المتنوعة والخيرات العظيمة من مختلف المناطق سواء من بلاد المغرب أو المشرق أو بلاد السودان (34)، وسوقا هاما من الأسواق التي تشهد تبادلا تجاريا كبيرا وحركية اقتصادية فاعلة (35). وعليه، فقد أهلها موقعها الذي يتوسّط المغرب الأوسط لتكون قلبه الاقتصادي النابض ورائته التجارية التي تنتفّس بها السلطة الصنهاجية.

4. اسهامات صنهاجة مليانة في حروب الدولة:

4. 1 قبل الانفصال عن الكيان الفاطمي:

ساهمت الساكنة المليانية إلى جانب القبائل الصنهاجية الأخرى الموالية للدولة الفاطمية في دعم جيوش الأخيرة لوضع حدّ لمظاهر الانتزاع سيما التي قامت بها العناصر الزناتية، والمنافحة عن المجال الخاضع للسلطة الفاطمية ضدّ المتطاولين عليه. ولعلّ من بين أبرز الحملات العسكرية التي دعمت صنهاجة مليانة جيوشها: الحملة الفاطمية التي خرجت لكبح جماح زناتة الثائرة ضدّها سنة 358هـ / 968-969م بالجهة الغربية بقيادة أبي خزر الزناتي (36). ذلك أنّ الأخير جمع تحت لوائه العناصر الزناتية والنكارية (خوارج زناتة) وخرج يستولي على المناطق ويستأثر بها. وهو الأمر الذي أجبر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله على الخروج إليه لصدّ زحفه وتبديد شمله، حيث قاد الجيش بنفسه وجمع القبائل والمتطوعين إلى صفه، وسار حتى أدرك باغاية. ولما بلغ صدى خروجه إلى مسامع الجموع الزناتية، انتشرت في النواحي واعتصمت بالجلال (37)، فأخذ جيش الفواطم يتتبع خبرها ويقتفي أثرها، وحين لم يدركها، كثّف من عملياته التمشيطية، واستزادة من

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

جهوده التفتيشية عن مواطن اختبائها للظفر بها وبقائدها أبي خزر لكّنه لم يعثر له على أثر⁽³⁸⁾.

في سنة 360هـ / 971م، عادت العمليات العسكرية التمردية-التوسعية التي تقودها زناتة للنشاط من جديد، وهذه المرة بقيادة محمد بن الخير بن محمد بن خزر⁽³⁹⁾، الذي استطاع أن يخضع قسما كبيرا من أراضي المغرب الأوسط في جزئه الغربي لسلطانه⁽⁴⁰⁾. وفي ردّ فعل من القيادة الفاطمية، أوعزت إلى بلكين بن زيري بالخروج لتأديبه وتبديد شمل جموعه⁽⁴¹⁾. فخرج بلكين في مهمته على رأس جيش صنهاجي، تمكّن بواسطته من ملامسة عدّة انتصارات على خصومه وتكبيدهم خسائر معتبرة. وقد مثّلت المعركة التي قادها ضدهم بضواحي تلمسان أحد أبرز الانتصارات التي حازها ضدهم، أين قتل منهم خلقا كثيرا وأسر ما أمكنه أسره. واستطاع بلكين بنصره هذا استرداد المناطق الغربية لملك الفاطميين، بل واستطاع أن يضمّ عددا كبيرا من القبائل بتلك المنطقة لنفوذهم⁽⁴²⁾.

كما ساهمت صنهاجة مليانة في الحملة العسكرية التي قادها زيري بن مناد الصنهاجي على زناتة، وهي الحملة التي لقي حتفه على إثرها⁽⁴³⁾. وكذا في الحملة التي قادها ابنه بلكين سنة 361هـ / 971-972م ضدّ زناتة بعدما قُتل والده على يد عناصر الأخيرة⁽⁴⁴⁾ في مسعاه للثأر من جهة، ولتأديبها بدعم وتوجيه من المعز الفاطمي من جهة أخرى. حيث أوردت المادة المصدرية أنّه جمع الرجال وشحذ الهمم لذلك، وكان أول صدام عسكري بمجال طبنة التي رام تطهيرها من نشاط أعدائه ثمّ قصد بغاية فالمسيلة

وبسكرة، أين أثنى في عناصرها قتلا وتشريدا، سواء من زناتة أو هواره أو نفزة وغيرها. وسار على نفس المنوال حتى أدرك تيهرت، ولم يرجع حتى استولى على كامل المغرب الأوسط وأجلى منه العناصر الثائرة⁽⁴⁵⁾. في هذا الصدد، يقول ابن الأثير: "وقصد زناتة وأكثر القتل فيهم، وسبى نساءهم وغنم أولادهم وأمر أن يجعل القدور على رؤوسهم ويطبخ فيها"⁽⁴⁶⁾. وهو ما فصل فيه أحد الباحثين المهتمين بتاريخ صنهاجة المغرب الأوسط؛ حين ذكر أنّه "قبيل أن يجلس بلكين أبو الفتوح على عرش افريقية والمغرب انتشرت ما بين القبائل الكبرى وطبنة تجدهم في كل مكان بين مليانة والمدينة والجزائر شمالا وحمزة شرقا والمسيلة جنوبا فقوي نفوذهم على حساب مزاة وهواره ونفزة وغيرهم من البربر الذين كانوا يسكنون بيوتا من الخوص وعانوا الشيء الكثير من طرف بلكين، وعلى حساب مغراوة الذين طردوا إلى المغرب الأقصى"⁽⁴⁷⁾.

4. 2 في ظل الكيان السياسي الصنهاجي:

شكّل انتقال الفاطميين إلى أرض مصر سنة 362هـ / 972م نقلة نوعية في التاريخ السياسي للقبيلة الصنهاجية، ذلك أنّ زمام الأمور باتت في يدها، تُدار شؤون المغربين الأوسط والأدنى من طرف الأسرة الزيرية تحت سقف الولاء للفاطميين على امتداد مسافة زمنية استمرت من تاريخ الانتقال إلى غاية سنة 440هـ / 1048م⁽⁴⁸⁾. وبذلك تنامت مستويات القوة العسكرية الصنهاجية وتعاظم شأنها بالمغرب، لاسيما بعد فترة القطيعة عن الفاطميين. مع الإشارة إلى أنّ مسار الحكم الصنهاجي-الزيري للبلاد المغربية قد تخلّله

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

فترات اضطراب نَعَصَتْ كثيرا على القيادة المركزية، وشغلت بالهم بشكل معتبر مظاهر تلك الاضطرابات التي احتضنها الإقليم الغربي من الدولة. وكان أبرزها ذلك الذي تقوده القبائل الزناتية. ومن ذلك: النشاط العسكري الذي قام به زيري ابن عطية المغراوي الزناتي بعدما نظم صفوفه بمنطقة الصحراء، وراح يحاصر تيهرت سنة 389هـ / 998-999م ويسعى للاستئثار بحكمها. وهو ما اضطرّ عاملها يطوفت بن بلكين إلى إعلان حالة الطوارئ، وارسال رسالة عاجلة إلى ابن أخيه نصير الدولة باديس الزيري يستنجد به على الخصوم. فأمدّه الأخير بجيش على رأسه الكاتب محمد بن أبي العرب الذي استقوى في طريقه إلى موطن المستغيث به بالعناصر الصنهاجية في أقاليم الدولة بالجهة الغربية، ومنها مدينة أشير التي انضمّ إليه عاملها حماد بن بلكين، وسارا حتى أدركا عامل مدينة تيهرت، فناشبو زيري بن عطية القتال على مرحلتين من المدينة، وكانت الهزيمة عليهما، فانسحبا وعادا إلى أشير. وبذلك انفسح المجال بين يدي زيري بن عطية، فأخذ يستولي على المناطق ويطوي بساطها إلى ملكه؛ حيث شنّ حملاته العسكرية على المسيلة وتنس وشلف وتيهرت وتلمسان، وأقام في تلك المدن مُحْكَمًا سيطرته، مُعْلِنًا دعوته للأمويين بالأندلس. وهو الأمر الذي أزعج كثيرا الملك الزيري باديس، واضطرّه للخروج إليه بنفسه في قوة عسكرية كبيرة، أفضت إلى خروج زيري بن عطية من تيهرت وفراره من المنطقة⁽⁴⁹⁾.

بيد أنّ أعظم حدث أثر على مستقبل الدولة الزيرية كان ذلك الطموح الاستقلالي الذي عشعش في

فكر حماد بن بلكين، ورغبته الانفصالية الجاحمة التي توجّحت بسلخ المغرب الأوسط عن جسم الحكم الزيري وتأسيس كيان سياسي حمادي على بساطه سنة 408هـ/1017م.

وإذا كان الأمر يتعلّق في مسعانا البحثي هذا بتتبّع دور ساكنة مليانة العسكري إلى صفّ القيادة الصنهاجية، فإنّه يتحقّق عليها التنويه بأننا سنقتصر في هذه المحطة البحثية على اسهاماتها لصالح الدولة الحمادية بعد حادثة الانشقاق السياسي الذي ضرب عرش السلطة الصنهاجية-الزيرية، على اعتبار أنّ المجال الملياني بات جزءًا من جسم الدولة الحمادية وقاعدة أساسية من قواعدها العسكرية. وذلك ما سنبيّنه على النسق الموالي:

- الجيش:

مثّلت قبائل صنهاجة المغذي الأساس لصفوف الجيش الحمادي، سواء بالنسبة لعناصره النظامية أو المتطوعة؛ حيث استند بنو حماد إلى معول العصبية القبلية في نسج تشكيلة الجيش وتشيد بنيانه⁽⁵⁰⁾. وشكّل هذا الجيش قوة بني حماد الضاربة ضدّ الخصوم الطامحين في الاعتداء على مجال الدولة، خاصة ضدّ أبناء العمومة من بني زيري الراغبين في توسيع حدود دائرة الملك الصنهاجي بالجهة الغربية، أو لكبح جماح العناصر الزناتية المُتَنَزِية بالمناطق الجنوبية والغربية من جسم الدولة الحمادية، أو في سبيل صدّ النشاط التوسعي الذي انتصب له قادة الدولة المرابطية على حساب الملك الحمادي وتأمين حدود الدولة الغربية، وفي مرحلة لاحقة في مجابهة خطر النورمان الذي بات يهدّد أمن البلاد

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

وساكنتها خصوصا بالمدن الساحلية وتأمين البوابة البحرية، ناهيك عن مواجهة الانتشار الهلالي بأرض المغرب الأوسط.

تشير الإحصائيات التي تضمّنتها بعض الدراسات المتخصصة في تاريخ الدولة الحمادية إلى أنّ تعداد جيوش الدولة الحمادية كان يتباين من فترة زمنية لأخرى أو من عهد أمير حمادي إلى آخر؛ ففي عهد حماد بن بلكين مؤسس الدولة (ت419هـ/1029 م) قُدِّر عدد الجيش النظامي المرابط بالقلعة الحمادية سنة 405هـ /1015م بثلاثين ألف فارس خرج بهم إلى إفريقيا. وهو ذات العدد في عهد الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1088 م). أمّا في عهد المنصور بن الناصر بن علناس الحمادي (481-498هـ/1089-1105م) فقد تقلّص عدد عناصر الجيش إلى اثنتي عشر ألفا من الفرسان دون المشاة في المرحلة الأولى من فترة حكمه للبلاد، وارتفع عدد الجنود التي اعتمد عليها المنصور في حرب المرابطين سنة 496هـ/1103م إلى أربعة وعشرين ألف مقاتل⁽⁵¹⁾.

وإذا كانت تلك الأرقام التي أوردناها بشأن أعداد الجيوش تصدق بشكل رئيس على القوة النظامية المرابطة بالعاصمة الحمادية القلعة أو بجاية بعد نقل الحماديين العاصمة إليها، فإنّ هناك قوات احتياطية أو إضافية مرابطة في الأقاليم الخاضعة للملك الحمادي سواء في مليانة أو المسيلة أو أشير ونحوها، تشدّ من عضد القوة النظامية الرئيسة سواء في مهام فرعية أو إلى جانب القوة الأساسية في خرجاتها الحربية المختلفة تنفيذاً

لمشاريع الدولة العسكرية دفاعية-وقائية كانت أو هجومية.

- التحصيل الجبائي:

تعدّ محصّلات الضرائب الوضعية والشرعية أحد المصادر الهامة لدخل بيت المال الحمادي وتمويله. ولا يخفى علينا مدى الانعكاس الإيجابي لذلك التدفق المالي في إدارة شؤون الدولة في شتى مناحيها، حيث يُستثمر جزء منه في بناء القوة العسكرية للدولة من حيث التسليح البشري والمادي والتحصين الدفاعي والهجوم. لذلك لم يغفل القائمون على دولة بني حماد عن الإهتمام بجهاز التحصيل الضريبي، الذي تتمثّل أبرز أوجه موارده في: رسوم التعاملات التجارية على أصحاب الحرف وعمليات المتاجرة الداخلية بالأسواق على مستوى كل مدينة والرسوم التي تفرض على البضائع ورسو سفن التجارة بالموانئ البحرية الحمادية⁽⁵²⁾، وكذا موارد الزكاة والعشور والصدقات التي تُجرد عائداتها السنوية ويُوّجه جزء منها لصالح لخزينة العامة⁽⁵³⁾، بالإضافة إلى المساهمات العينية كالمؤن والمحاصيل الزراعية خلال فترات الحروب والصراعات التي تخوضها الدولة الحمادية، خصوصا من المدن التي تعرف رخاء اقتصاديا وتجاريا كبيرا في ظل الحركة الدؤوبة والحيوية الكبيرة التي تعرفها أسواقها التجارية. وكان المجال الملياني من بين أبرز موارد التمويل المالي والتجاري⁽⁵⁴⁾، وقد فصلنا في هذا في المخطات البحثية السالفة.

- التمويل بالعتاد الحربي:

مع اتّساع دائرة الخطر المحيط بحدود الدولة الحمادية وتعدّد جبهاته، كان لزاما على القيادة

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

- الإمداد البشري:

لعلّ ممّا يحسن أن نستهل به هذه المخططة البحثية المتعلقة بإبراز مستويات الحضور البشري في نسيج المعارك التي سبّرتها القيادة الحمادية تنفيذًا لمشاريع الدولة، العسكرية الهجومية والدفاعية: أنّ الساكنة المليانية وباعتبارها جزء لا يتجزأ من الكيان الحمادي، كان من الطبيعي أن تضم صوت دعمها إلى صف أصوات دعم الأقاليم الحمادية الأخرى للجهاز العسكري دفاعًا عن حدود الدولة، وتأمينًا لساكنتها من مختلف العاديات وكل مظاهر الانتزاع والتمرد التي تهدد استقرار الدولة وتماسك البنية المجتمعية، وكذا الاستجابة لمطامح السلطة التوسعية ومشاريعها الهجومية. وأنّ تناول النص المصدري للاسهام الملياني في حروب الدولة الحمادية، كان في الغالب يندرج ضمن المساهمة المغرب أوسطية بشكل عام في دعم القوة العسكرية الحمادية، وتجسيد مخططاتها العسكرية، وتلبية دعوة واجب الدفاع عن الإقليم الحمادي والكيان الصنهاجي. ومن بين أهمّ المعارك التي شاركت العناصر البشرية المليانية ضمن فصائل جيوشها:

*** معركة شلف سنة 406هـ/1015م:**

دون الخوض في تفاصيل المعركة من حيث المراحل والنتائج والتداعيات، نقصر القول: في أنّ المعركة تندرج ضمن سلسلة المعارك التي خاضها حماد بن بلكين في مسعاه الانفصالي عن جسم الكيان السياسي الأمّ. وسببها الرئيس هو رفض حماد لطلب باديس بن المنصور الزيري القاضي بتنزله عن جزء من ممتلكاته لصالح ولي عهده المنصور⁽⁶¹⁾. فكان رفض حماد لهذا

العسكرية تكثيف الجهد الاستعدادي من حيث العتاد والأسلحة المادية والبشرية والتحصين الوقائي، وحسن استغلال الموارد المالية -على اختلاف أوجه تحصيلها- المتاحة في بناء ترسانة عسكرية قوية، وكذا استثمار كافة الإمكانيات العسكرية التي تحوز عليها عاصمة الدولة والمدن والأقاليم التابعة لسلطتها كمليانة، تنس، المسيلة، وبسكرة. وكان من مظاهر الأسهم الذي اضطلعت به مدينة مليانة:

- دعم حظيرة الأسلحة الحيوانية بالبغال والخيول ومختلف لوازمها من سروج ولجام. وتحيلنا في هذا الصدد المادة المصدريّة إلى الإهتمام الحمادي الملحوظ بقطاع الخيول، والعناية بتربيتها في الكثير من أقاليمها، واجتهادهم الكبير في صناعة لوازمها المتعددة في أغلب مدنها⁽⁵⁵⁾.

- كان المجال الملياني من المناطق الحمادية التي تصنع بها بعض الأسلحة الحربية الخفيفة، كالسيوف، الرماح، الحراب الدبابيس⁽⁵⁶⁾، الخناجر، والدروع⁽⁵⁷⁾. وذلك نتيجة الحركية الفاعلة التي شهدتها بعض الصناعات الحرفية بهذا المجال والتي تخدم الأنشطة الحربية، على غرار الصناعة الحرفية كالحداة والنجارة الدباغة، فعند الوزان الفاسي: أنّ مليانة "يكاد يكون سكانها كلهم صنّاعاً"⁽⁵⁸⁾.

- ساهم المجال الملياني بما يمتلكه من ثورة غايبية خشبية في دعم لإقتصاد العسكري الحمادي⁽⁵⁹⁾، على اعتبار أنّ مادة الخشب مادة حيوية في مجال الصناعة الحربية الأسطولية البحرية، وركيزة أساسية تستند إليها الصناعة الحربية البحرية في الكثير من مظاهرها⁽⁶⁰⁾.

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

الطلب بمثابة الشرارة التي أشعلت نار الحرب، ودفع باديس لتسيير جيوشه نحو المغرب الأوسط لإعادة الأمور إلى نصابها. وحين بلغ باديس القلعة الحمادية، أرخى بجوانبها حبل الحصار، وشده على ضلوعها شداً بليغاً، ورغم ذلك لم يُدرِك غايته باقتحام القلعة وانتهاك حرمتها. وأمام شدة الحصار، رأى حماد الانسحاب نحو الجهة الغربية في خطة حربية منه يروم استدراج الجيش الزيري نحوه، فكان له ما أراد.

وحتى يُقوّي حماد من شوكتة ويعضد عصبته جمع الحشود حوله من بطون صنهاجة، وحتى من زناتة بالصفة الغربية لواد شلف، حتى اجتمع حوله ثلاثون ألف مقاتل ولباديس ما يعادله⁽⁶²⁾. وحدث الصدام بين الطرفين هناك أفضى بانتصار باديس على الخصوم في أواخر ذي القعدة من سنة 406 هـ / 1015 م⁽⁶³⁾، وانسحاب حماد من حوض الشلف دون أن يتخلّى عن هدفه الانفصالي⁽⁶⁴⁾.

* معركة سيبية سنة 457 هـ / 1065 م:

في عهد الناصر بن علناس الحمادي وفي إطار سياسته التوسعية نحو الجهة الشرقية على حساب مُلك بني زيري، عمل الأمير الحمادي على حشد جيش كبير كفيل بتنفيذ مشروعه، فبالإضافة إلى القبائل الصنهاجية التي التفت حول الجيش الحمادي وعضدت صفّه، نهج الناصر سبيل التحالف لتدعيم قوته العسكرية وبلوغ مراده. حيث تحالف مع بطون من العرب الهلالية ومن زناتة، وسار بجيشه يروم المهدية عاصمة دولة بني زيري ومقر مُلك تميم بن المعز، ولكن الأخير تفتّن لمشروع خصومه، فנסج خطة عسكرية مضادة، نجح بواسطتها

من إلحاق هزيمة نكراء بجيوش الناصر في موقعة سيبية سنة 457 هـ / 1065 م⁽⁶⁵⁾.

* معركة تلمسان سنة 496 هـ / 1102-1103 م:

لم تتخلّف العناصر الصنهاجية المليانية عن دعم الجيش الحمادي في حروبه على الجهة الغربية كما هو الشأن في شتى الحروب التي قادها أمراء بني حماد. وهذا في سبيل صدّ النشاط التوسّعي الذي ركبت سفينته القيادة المرابطية على حساب المجال الحمادي⁽⁶⁶⁾، وكانت معركة تلمسان سنة 496 هـ / 1102-1103 م، أحد مظاهر الصدام العسكري بين الطرفين بعدما توغل المرابطون في جسم الدولة الحمادية حتى أدركوا أشير والعديد من مناطق المغرب الأوسط في الجهة الغربية من عاصمة الدولة بجاية⁽⁶⁷⁾ على غرار: وهران، جبال الونشريس، شلف، تنس، ووصولاً حتى أسوار جزائر بني مزغنة سنة 475 هـ / 1072-1073 م. وذلك انطلاقاً من تلمسان التي اتخذوها قاعدة لشنّ حملاتهم التوسعية نحو الشرق⁽⁶⁸⁾. وعلى هذا الأساس خرجت الجيوش الحمادية لتطهير المنطقة من نشاطهم العدائي سنة 496 هـ / 1102 م، واستطاعت أن تهزم قوات المرابطين وتجبرها على التراجع نحو الغرب وتضع حداً لنشاطهم على حساب ممتلكاتها.

خاتمة:

من النتائج التي توصّلنا إليها على كاهل هذه الورقة البحثية:

- ركّزت هذه الورقة البحثية بالدراسة والتحليل على إبراز الإسهام الملياني في الحياة العسكرية للدولة

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

الصنهاجية الزيرية-الحمادية، وإن كنا قد أشرنا إلى جوانب من اسهاماتها بشكل مقتضب في أواخر العهد الفاطمي بعد تأسيس المدينة.

- كانت المقومات الطبيعية والبشرية التي تحوز عليها مليانة المؤهل الرئيس لحيازة المدينة مكانة اقتصادية كبيرة سيّما في العهد الحمادي، وأحد الدعائم الرئيسة في بناء القوة العسكرية الصنهاجية.

- شكّلت مليانة أحد القواعد العسكرية الخلفية التي كانت القيادة الفاطمية تحتّمى بها من الضربات الاعتدائية التي مصدرها الجهة الغربية؛ فقد سعى الفواطم لكسب ودّ صنهاجة في ظل كثرة التحرشات الزناتية على الحدود الغربية لمجالها وتهديدهم المستمر للطرق التجارية بالمنطقة والعبارة إلى بلاد السودان وكذا تثبيت وجودها السياسي والمذهبي بالمغرب، وذلك ادراكا من الفاطميين للثقل العسكري الذي تمثّله صنهاجة في ظل ما تحوزه الأخيرة من امكانات تؤهلها للاضطلاع بتلك الأدوار على غرار الموقع الجغرافي الذي تفتخره والحصانة الطبيعية التي يمتاز بها مجالها، والشدة والبأس التي تتسم بها قبائلها. ولعلّه لهذا السبب وغيره، أطلق الفاطميون يد زيري بن مناد الصنهاجي في ولاية تيهرت وأعمالها، وسمحوا لابنه بلكين بن زيري بتشديد المدن الثلاث التي منها مليانة. كما عُدّت مليانة محطة من محطات الدفاع عن الحدود الغربية في عهد الدولة الزيرية في مرحلة لاحقة، وأحد مصادر الإمداد العسكري المهمة والقواعد الحصينة في العهد الحمادي.

- مثّلت القبيلة الصنهاجية يدًا قوية، ضربت بها قوى سياسية تناوبت على حكم المجال الملياني على يد

العناصر الزناتية التي تناسلت مظار الانتزاع والتمرد الذي قامت به في الجهة الغربية من المغرب الأوسط. ولئن كان هذا يكشف عن مستويات العداء التقليدي بين القبيلتين، فإنّه يُوحى من زاوية أخرى عن حجم الخدمات الجليلة التي كانت تقدّمها صنهاجة للسلطة الحاكمة بالإقليم.

الهوامش :

(1)- ولقد ذهب الباحثان روجي ادريس وعزالدين بو يحيوي، إلى أنّ بلكين بن زيري شرع في البناء مع بداية سنة 349هـ /960-961م، وهي السنة التي عقد الفاطميون فيها لزيري بن مناد على تيهرت بإنشاء مدن جديدة منها: الجزائر والمدينة ومليانة، بعدما أضيفت إلى حكمه مدينة تيهرت وأعمالها، وذلك بتكليف من والده، أنظر: الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ج 1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص58، عزالدين بو يحيوي: "تطور العمران الاسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط من القرن الثاني إلى القرن الثامن للهجرة"، أطروحة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001-2002م، ص110.

(2)- أنظر: بن النية رضا: "صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الاسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(80-362هـ /699-973م)"، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1427هـ/2006م، ص52.

(3)- بن النية: المرجع السابق، ص52.

(4)- عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ص204.

(5)- أنظر: روجي ادريس المرجع السابق، ج1، ص61.

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 15-19.

(9) - روجي ادريس: المرجع السابق، ج2، ص95.

(10) - هي مدينة على نهر الشلف تتميز ببساتينها الغناء، المروية من هذا النهر، تشتهر المدينة بسوقها الأسبوعي الذي يرتاده التجار من المناطق المجاورة لها كل يوم جمعة لتبادل السلع في اطار عمليات البيع والشراء. للمزيد أنظر: بن النية: المرجع السابق، ص50.

(11) - بن النية: المرجع السابق، ص50.

(12) - روجي ادريس: المرجع السابق، ج2، ص97.

(13) - ابن النية: المرجع السابق، ص53.

(14) - رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية والمركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1397هـ/1977م، ص136.

(15) - الطمار: المرجع السابق، ص154.

(16) - محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، يقدم، سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص46-47.

(17) - مجهول: ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار: نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ص170.

(18) - روجي ادريس: المرجع السابق، ص61.

(19) - الطمار: المرجع السابق، ص153.

(20) - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص204.

(21) - محمد عياش: "الاستحكامات العسكرية المربية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان: دراسة تاريخية وأثرية"، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005/2006م، ص27-28.

(22) - بن النية: المرجع السابق، ص53.

(6) - والمدينة مليانة يقال أّنها نسبة إلى قبيلة مليانة أحد فروع صنهاجة الشمال بالمغرب الأوسط. وقد أشتهر من المليانيين نخبة عديدة من العلماء والفقهاء وطلبة العلم والمتصوفة، الذين من أبرزهم: أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار الملياني المتوفى سنة 644هـ/71246م ببجاية، الذي كان ضالعا في بحور اللغة العربية والفقه وأصول الدين، وأبو الحسن علي بن عمران بن موسى الملياني المتوفى سنة 670هـ/1271م، حيث برع هذا الأخير في أصول الدين والفقه والتصوف، وفي مجال الزهد والتعبد والتصوف سطع نجم أحمد بن يوسف الملياني، الذي عاش في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وقد أّهمه علماء بني عبد الواد بالكفر بعدما ادّعى أنّه نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم. والمدينة لا تزال إلى اليوم تحتفظ باسمها المعروف في العصر الوسيط، للمزيد من التفصيل، أنظر: أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1969، ص188-189، وللمزيد أكثر، أنظر: بن النية: المرجع السابق، ص38.

(7) - محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984، ص547، وللمزيد أنظر: بن النية: المرجع السابق، ص53.

(8) - صنهاجة قبيلة مغربية من بربر البرانس، التي منها بنو زيري وبنو حماد. وهي من ولد صنهاج، قيل أنّ بطونها تنتهي إلى سبعين بطنا، وتنقسم إلى أهل مدر كتلكاتة وأنجفة بالمغرب الأوسط، ينتشرون في مناطقه الواسعة، إذ نجدهم من غربي سطيف إلى وادي شلف ببحال المسيلة والتيطري والونشريس وزكار وفي مختلف السهول ونحو ذلك، وهي قبائل مستقرة عاملة بمناطق استقرارها. وإلى أهل وير وهم كدالة ومسوف و ملتونة وغيرهم، وهم يضرّون في فيافي الصحراء. وغير ذلك من القبائل الصنهاجية المنتشرة ببلاد المغرب، أنظر: محمد الطمار: المغرب

تاريخ الارسال: 2019/09/28

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ النشر 2020/12/21

- (²³)- الوزان الفاسي: وصف افريقيا، ج2، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص35.
- (²⁴)- عبد الله البكري: المسالك والممالك، مج2، تح، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2002م، ص226، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص288، عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص61.
- (²⁵)- انظر في هذا السياق، ما تمّ طرقه بشأن مظاهر الصراع بين الحماديين والمرابطين من طرف: ابن خلدون: العبر، ج7، ص62، رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص77، موسى هيصام: الجيش في العهد الحمادي (405- 547هـ/ 1014- 1152م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000 - 2001، ص122-123.
- (²⁶)- الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص35.
- (²⁷)- ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج 5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/ 1977م، ص196.
- (²⁸)- الحميري: المصدر السابق، ص547.
- (²⁹)- مجهول: المصدر السابق، ص170.
- (³⁰)- ابن النية: المرجع السابق، ص53.
- (³¹)- الطمار: المرجع السابق، ص92، بن النية: المرجع السابق، ص50.
- (³²)- الطاهر طويل: المدينة الاسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية، الجزائر، 2011، ص275.
- (³³)- هيصام: المرجع السابق، ص39.
- (³⁴)- مجهول: المصدر السابق، ص170.
- (³⁵)- الحميري: المصدر السابق، ص547، الطمار: المرجع السابق، ص92.
- (³⁶)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج7، تح، أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/ 1987م، ص314.
- (³⁷)- ابن الأثير: المصدر السابق، مج7، ص315، روجي ادريس: المرجع السابق، ج1، ص62.
- (³⁸)- ابن الأثير: المصدر السابق، مج7، ص315. ونشير بشأن هذه الحملة العسكرية أن المدينة مليانة وقتها لم يكن ولكن بن زيري قد جدّد بناءها بعد، إذا صحّت الرواية التاريخية التي يقول أصحابها أن تجديد بناء المدينة كان سنة 360هـ/ 971م، ومع ذلك فهذا لا يعني أنّ المنطقة كانت خالية، بل كانت بها بطن مليانة القبيلة الصنهاجية وليس المدينة، كما أسلفنا ذكره في دراستنا هذه.
- (³⁹)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص204.
- (⁴⁰)- محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص232.
- (⁴¹)- روجي ادريس: المرجع السابق، ج1، ص63.
- (⁴²)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص204، روجي ادريس: المرجع السابق، ج1، ص63.
- (⁴³)- الطمار: المرجع السابق، ص152.
- (⁴⁴)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص205، ابن الأثير: المصدر السابق، مج7، ص334.
- (⁴⁵)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص205، روجي ادريس: المرجع السابق، ج1، ص69.
- (⁴⁶)- ابن الأثير: المصدر السابق، مج7، ص334.
- (⁴⁷)- الطمار: المرجع السابق، ص152-153.
- (⁴⁸)- أنظر تفاصيل ذلك عند، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص205-206، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص278، بن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تح، محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ص83، الطمار: المرجع السابق، ص42-43.

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2019/09/28

والغنائم وأمدّهم بالسلاح وخوفهم من غدر الناصر بهم إذا حالفه النصر، فافتنعوا برأيه وشدّوا عضد صفه فكان النصر حليفه، والضربة القاسمة لظهر جيش الناصر الذي قتل أغلبه ونجى الناصر بنفسه، وغنمت العرب معسكره. أنظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، تح، ج س. كولان وإ. لقيي بروقنصال، ط 3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص 299، ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 233، شهاب الدين النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، ج 24، تح، عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 123، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 86.

(66) - أنظر: بورويّة: المرجع السابق، ص 120-121.

(67) - هيصام: المرجع السابق، ص 122.

(68) - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 233.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر :

1. ابن الأثير محمد: الكامل في التاريخ، مج 7، تح، أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.
2. ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح، محمد شمام، المكتبة العتيقة.
3. ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 6، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.
4. ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، تح، ج س. كولان وإ. لقيي بروقنصال، ط 3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.
5. أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(49) - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 208-209، ابن الأثير: المصدر السابق، مج 8، ص 7-8، بن عميرة: المرجع السابق، ص 271-272.

(50) - للتفصيل، أنظر: الطمار: المرجع السابق، ص 187.

(51) - هيصام: المرجع السابق، ص 25، 30، 34، 35.

(52) - الطمار: المرجع السابق، ص 184.

(53) - هيصام: المرجع السابق، ص 41.

(54) - الحميري: المصدر السابق، ص 547..

(55) - هيصام: المرجع السابق، ص 45.

(56) - أنظر: الطمار: المرجع السابق، ص 187.

(57) - للتفصيل أكثر في أهمية هذه الأسلحة ووظائفها الحربية وغيرها من أنواع الأسلحة الأخرى التي اعتمدها الحماديون في شتى حروبهم خاصة البرية منها، أنظر: هيصام: المرجع السابق، ص 46-49.

(58) - الوزان الفاسي: المصدر السابق، ج 2، ص 35.

(59) - ابن النية: المرجع السابق، ص 53.

(60) - هيصام: المرجع السابق، ص 50.

(61) - يقول ابن الأثير أن باديس أرسل لحماذ يقول له: بأن يسلم ما بيده من الأعمال التي أقطعه إلى نائب ابنه المنصور وهي مدينة تيجس، والقصر الافريقي، وقسنطينة، للتفصيل أكثر، أنظر: ابن الأثير: المصدر السابق، مج 8، ص 86، وللتفصيل أكثر، أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 228.

(62) - موسى هيصام: المرجع السابق، ص 113.

(63) - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 228.

(64) - الطمار: المرجع السابق، ص 88.

(65) - حيث جمع الناصر جيشه من صنهاجة ومن أحلافه من زناتة ومن العرب عدي والأثيج، أما جيش تميم بن المعز فقد ضم إلى صفوفه صنهاجة ورياح وزغبة وسليم ومن زناتة المعز بن زيري الزناتي، لكن تميم بن المعز استطاع بجيلته الحربية أن يستميل حلفاء الناصر بن علناس إلى فة بعد أن أغراهم بالمال

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2019/09/28

16. بن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
 17. بورويبة رشيد: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية والمركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1397 هـ / 1977 م.
 18. بو يحيوي عزالدين: "تطور العمران الاسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط من القرن الثاني إلى القرن الثامن للهجرة"، أطروحة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001-2002 م.
 19. طويل الطاهر: المدينة الاسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية، الجزائر، 2011.
 20. محمد عياش: "الاستحكامات العسكرية المربية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان: دراسة تاريخية وآثرية"، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005 / 2006 م.
 21. عويس عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999 م.
 22. هيصام موسى: "الجيش في العهد الحمادي (405-547 هـ / 1014-1152 م)"، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر 2000-2001.
 6. البكري: المسالك والممالك، مج2، تح، جمال طلبية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2002 م.
 7. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984.
 8. العبدري: الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاحة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1428 هـ / 2007 م.
 9. الفاسي الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، ترجمة، محمد حجي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983.
 10. النويري شهاب الدين: نهاية الإرب في فنون الأدب، ج24، تح، عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت.
 11. مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق، سعد زغلول عبد الحميد، ط2، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ودار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986.
 12. باقوت الحموي: معجم البلدان، مج 5، دار صادر، بيروت، لبنان 1397 هـ / 1977 م.
- ب- المراجع :**
13. الطمار محمد: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
 14. الهادي ادريس: الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
 15. بن النية رضا: "صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الاسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80-362 هـ / 699-973 م)"، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1427 هـ / 2006 م.